شبه الجزيرة العربية في كتابي التاريخ الطبيعي لابلينيوس الأكبر، وجغرافية سطرابون

مصطفى غطيس•

ورد اسم شبه الجزيرة العربية (بلاد العرب السعيدة) في معظم أجزاء **التاريخ الطبيعي** لابلينيوس الأكبر (الكتاب الثاني، والخامس، والسادس، والسابع، والثامن، والتاسع، والعاشر، والثاني عشر، والثالث عشر، والرابع عشر، والخامس عشر، والسادس عشر، والتاسع عشر، والعشرون، والثاني والعشرون، والرابع والعشرون، والخامس والعشرون، والسادس والعشرون، والسابع والعشرون، والثامن والعشرون، والواحد والثلاثون، والثاني والثلاثون، والسادس والثلاثون، والسابع والثلاثون). كما ورد اسمها في الكتاب السادس عشر من **جغرافية** سطرابون، في الفصلين الثالث والرابع خاصة.

والمعلومات الواردة في هذين المؤلفين الضخمين بخصوص بلاد العرب السعيدة خلال العصر القديم، غنية وجد متباينة، فهي تشمل ميادين العصور الجيولوجية الغابرة (غمر البحر للأراضي المنبسطة)، والأسواق التجارية، وكذا البلاد التي اتجر معها العرب (مصر والهند...)، والمنتجات التجارية التي صدروها والتي يتصدرها الطيب والبخور والعطور التي كان العرب مولعين بها أشد الولع، حسب ابلينيوس، والتي سنخصص لها حيزا هاما في هذه الدراسة (أصناف الأشجار التي استخرجت منها، والمناطق التي أنتجتها، وكيفية إنتاجها، والبلاد التي استوردتها، والمراسي التي صدرتها، والمبالغ المالية الهامة التي تم تحصيلها بفضل هذه التجارة...) ؛ إلى جانب ألماس والزمرد واللؤلؤ وبعض أصناف المحار التي ذكرها يوبا الثاني، المصدر الأساسي الذي استقى ابلينيوس معلوماته منه.

ولقد أورد صاحبا **التاريخ الطبيعي** و**الجغرافية** معلومات دقيقة عن جغرافية شبه الجزيرة العربية: مساحتها وحدودها وأنهارها وجزائرها وخلجانها ومناخها، وعادات الأقوام والقبائل التي عاشت فيها، فيما يتعلق بملبسها ومأكلها ومشربها وبعض أمراضها، ودرجة تمدُّنها... كما وصفا بعض حيواناتها، المدجنة منها (الجمل ومختلف استعمالاته) والبرِّية، وطيورها، بما فيها الطائر الأسطوري : العنقاء، ومعادنها وأحجارها... والعديد من أشجار شبه الجزيرة وأصناف نباتاتها وثمارها ؛ وذكرا موانئها ومدنها، بما فيها تلك التي خرّبها القائد الروماني أيليوس غالوس (Aelius Gallus) والتي لم تتحدث عنها المصادر التي أُلفت قبل الحملة الرومانية.

فما هي أهم المعلومات التي وردت في مؤلفي سطرابون وابلينيوس الأكبر بخصوص جغرافية شبه الجزيرة العربية وسكانها، وغطائها النباتي، وثروتها الحيوانية ؟

•أستاذ التاريخ القديم بجامعة عبد الملك السعدي، تطوان، المغرب.

١- موقع الجزيرة العربية وحدودها :

حسب ابلينيوس، لا تقل شبه الجزيرة العربية أهمية عن أي بلد كان، وهي مترامية الأطراف، وتبدأ عند جبل أمانوس[١] (Amanus)، وقيليقية (la Cilicie)، وكوماجينيا (Commagène). وتمتد الجزيرة العربية بين بحرين، البحر الأحمر و«الخليج الفارسي». ويبدو أن الطبيعة أبت إلا أن تحيطها بالبحر، وجعلتها كإيطاليا من حيث الشكل والمساحة، واتجاهها هو اتجاه إيطاليا نفسه. وهذا التشابه في الشكل والاتجاه، يوازيه تشابه آخر فيما يخص خصوبة الأرض[٢].

ولقد وصف ابلينيوس الجزيرة العربية وصفا دقيقا، وعدّد أصقاعها ومدنها (الساحلية والداخلية)، ومعابدها وأسواق بعض قبائلها وموانئها (كأكيلا[٣] (Acila) (Okêlis)، الميناء الذي كان يُبحر منه في اتجاه الهند)، وأنهارها وجزرها العامرة منها والمقفرة، المسماة منها والتي لا اسم لها، وخلجانها ورؤوسها وأشنختها وجبالها وعيونها وفلاها ومناجمها (الذهب...) ؛ ووصف سواحلها انطلاقا من خاراكس (Charax). ويخبرنا صاحب **التاريخ الطبيعي** أن الملك السوري إبيفان (Epiphane) (١٧٦-١٦٤ ق. م.) كان أول من أمر باكتشاف ساحلها المطل على «الخليج الفارسي»، انطلاقا من مصب الفرات[٤].

وذكر ابلينيوس أن طول سواحل الجزيرة العربية من خاراكس (Charax) إلى لايانا (Laeana) ، يبلغ حسب المؤلفين، 4.770.000 خطوة، ويعتقد يوبا[٥] أن طول هذه السواحل أقل من 4.000.000 خطوة. والجزيرة العربية أعرض في شمالها، ما بين مدينتي هيروم (Héroum) وخاراكس[٦] (Charax). وتحد الجزيرة العربية من جهة الشمال الغربي مدينة أوسطراكين (Ostracine) [المصرية] التي تبعد عن بيلوس (Péluse) بـ ٦٥,٠٠٠ خطوة[٧].

وفي بلاد العرب الأروئيين (Aroéens)، الذين يعيشون في المجال الفاصل بين دجلة والفرات : ميزوبوطاميا[٨] (Mésopotamie)، والذين يجري نهر الفرات

---

[١]- الأمان (حسب الكتابات الأجريتية ١٨٣٠ – ١٢٠٠ ق.م) ؛ جبل الأمان شمال غرب سوريا.

[2] - PLINE, ***Histoire Naturelle***, Livre VI, 32, 2 ; (2e partie : L'Asie centrale et orientale. L'Inde) ; Édité et traduit par Jacques André, Jean Filliozat, Paris, Les Belles Lettres, (1980) 2003.

[٣]- المُكلاّ (ميناء بحضرموت على بحر العرب).

[4] - PLINE, ***Histoire Naturelle***, Livre VI, 32, 6.

[٥]- وهو صاحب المصنف الرئيسي الذي استقى منه ابلينيوس معلوماته بالنسبة للجزيرة العربية ؛ راجع:

VILLENEUVE (F.), PHILLIPS (C.) & FACEY (W.) : « Une inscription latine de l'archipel Farasân (sud de la mer Rouge) et son contexte archéologique et historique », ***Arabia***, 2, 2004, p. 143-192, et n. 66.

[6] - PLINE, ***Histoire Naturelle***, Livre VI, 32, 13.

[7] - PLINE, ***Histoire Naturelle***, Livre V, 14, 1 ; Paris, Firmin-Didot et Cie, 1877.

[8] - PLINE, ***Histoire Naturelle***, Livre VI, 9, 1.

وبلادهم على يساره (من جهة الشرق)، ويقطعها على مسافة ثلاثة شينات (schènes[٩])، توجد مدينة الرها (Edesse) التي كانت تسمى قديما أنطاكية (Antioche)، ومدينة حران (Carrhes) المشهورة بهزيمة كراسوس (Crassus). وبشمال بلاد العرب تحد مقاطعة ميزوبوطاميا (Mésopotamie) التي سكانها من أصل أشوري، وحيث توجد مدينتا أنطيموسيا (Anthémusia) ونيسيفوريوم (Nicéphorium)؛ ثم العرب المسمون بالريطافيين (Retaves)، وسينغارا (Singara[١٠]) العاصمة[١١]. وتعتبر مدينة خاراكس (Charax[١٢]) الواقعة في أقصى شمال غرب «الخليج الفارسي» حدا لممالك الجزيرة العربية ؛ وعندها تبتدئ البلاد العربية الملقبة بالسعيدة[١٣] (*Arabia Eudaemon*).

وكان سطرابون قد اعتمد في وصفه لجزيرة العرب على مصادر هلنستية[١٤]: إيراطوسطين (Eratosthène)، وأغاطارشيد (Agatharchide)، وأرتيميدور (Artémidore d'Ephèse)... وقال إن بلاد العرب السعيدة تمتد على مساحة ١٢,٠٠٠ غلوة، ويستمر امتدادها هذا في اتجاه الجنوب إلى البحر الأطلنطي. وهي عامرة بسكان لا يتعاطون إلا الفلاحة، وهم أول من التقينا، حسب صاحب **الجغرافية**، من السكان الذين يتعاطون هذا النشاط، منذ أن تركنا وراءنا السكان المشتغلين بالفلاحة في سوريا ويهودا[١٥].

وتروي أمطار الصيف أقصى جنوب البلد ريّا، وهو الجزء من الجزيرة العربية الذي يبدو وكأنه يمتد في اتجاه إثيوبيا، ويعطي، شأنه شأن الهند، غلتين في السنة. ولنضف، حسب سطرابون، أن الجنوب يتوفر على بعض الأنهار أو المجاري المائية التي تغيب إما في السهول، وإما في البحيرات. وكل ثمار أرض هذه الأصقاع لذيذة، وهي تنتج الكثير من العسل.

واعتمادا على إيراطوسطين (Eratosthène)، حدد سطرابون موقع الجزيرة العربية الشمالي أو الجزيرة العربية الصحراوية بين بلاد العرب السعيدة من جهة،

٩- مصطلح إغريقي الأصل ('skê-n) (حبل)، كان يطلق في العصر القديم على وحدة قياس المسافة تساوي حوالي ١٠,٥٠٠ م.

١٠- كانت سينغارا (واسمها بالإغريقية : Σίγγαρα τὰ) مركزا محصنا في أقصى شمال بلاد الرافدين، احتله الرومان كمستعمرة متقدمة لمواجهة الفرس. ويصفها سطيفان البيزنطي (Stéphane de Byzance) كمدينة عربية تقع بالقرب من إديسا (Edesse)، ويوطنها بطليموس على ضفاف نهر دجلة. ويوافق اليوم هذا الموضع وكذا الجبل الواقع بجواره مقاطعة سنجار في العراق الحالي.

[11] - PLINE, ***Histoire Naturelle***, Livre V, 20, 21.

[١٢] - Charax Spasinu أو Charax Pasinu أو Charax Spasinou، وبالإغريقية القديمة : Σπασίνου Χάραξ)، ميناء قديم في جوف الخليج العربي، وكانت خاراكس عاصمة لمملكة شاراسين (Characène) القديمة.

[13] - PLINE, ***Histoire Naturelle***, Livre VI, 31, 11-12.

[14] - VILLENEUVE et *alii*, 2004, p. 157, n. 65, et p. 158.

[15] - STRABON, ***Géographie***, XVI : L'Arabie, IV, 2 ; Paris, Hachette, 1909.

وكل سوريا- باستثناء فنيقيا (ἡ κοίλη Συρία)- ويهودا من جهة أخرى، لأنها تمتد إلى جوف الخليج العربي. ويبلغ طولها من أقصى هذا الخليج الذي يقع نحو مصب النيل، أي من هيروبوليس (Héroopolis) في اتجاه البتراء (Pétra) (بتراء الأنباط)، وحتى بابل، ٥٦٠٠ غلوة[١٦].

٢- شعوب الجزيرة العربية ومدنها :

أحصى ابلينيوس الأكبر شعوب الجزيرة العربية، حضرها وبدوها[١٧]، وذكر سطرابون[١٨] أن أقصى الجنوب تتقاسمه أربعة شعوب رئيسية، وهي : المعينيون (Minaei) الذين يسكنون على طول ساحل البحر الإريتيري (la mer Erythrée)، وعاصمتهم كارنا (Carna)، أو كارنانا (Carnana) ؛ ويحد بهم مباشرة السبئيون (Sabaei)، وحاضرتهم مأرب (Mariaba) ؛ وثالثهم القتبانيون (Cattabanées) الذين تمتد أراضيهم حتى القناة الضيقة حيث يتم عادة عبور الخليج [البحر الأحمر]، والذين يسكن ملوكهم مدينة تسمى تمنع (Tamna) ؛ وأخيرا في أقصى شرق البلاد، يسكن الحطرموتيون (Chatramôtitae)، وعاصمتهم ساباطا (Sabata).

وكانت هذه المدن التي تشكل دولة ملكية واحدة، تعرف سعة من العيش، وكانت مزينة بمعابد وقصور بديعة... والحكم في هذه الملكية غير وراثي، فالخليفة المُعيَّن هو أول صبي كريم المَحتِد يولد منذ ارتقاء الملك العرش[١٩].

وبخصوص مأرب، عاصمة السبئيين، فإنها، حسب سطرابون، توجد فوق جبل مكسو بأشجار عجيبة، وكانت مقر مَلِكهم الذي لم يكن قاضي القضاة الذي يفصل في منازعات أفراد رعيته فحسب، بل كان السيد صاحب الأمر والنهي في كل البلاد التي كانت تحت سلطته. غير أنه لم يكن يُسمح لهذا الملك بمغادرة قصره، ولو أنه فعل، لخاطر بنفسه وتعرض لرجم الدهماء بمجرد خروجه، عملا بجواب آلهة جد قديم يُخول الشعب الثورة على ملكه في حالة مغادرته القصر. وداخل قصره، كان الملك وأفراد حاشيته يعيشون عيشة في غاية الميوعة والتخنث[٢٠].

وفيما وراء فرع دلتا النيل البيلوسي (Pélusiaque)، يوجد شمال الجزيرة العربية المجاور للبحر الأحمر وللبلاد العربية السعيدة الغنية بالطيب، والمشهورة بسعة العيش وخصبه وبلقبها : السعيدة[٢١].

وشمال الجزيرة هذا يسكنه العرب القتبانيون (Catabanes)، والإسبونيطيون (Esbonites)، والسينيطيون[٢٢] (Scénites)[٢٣]، وهي فلاة جدباء،

١٦- نفسه.

17 - PLINE, ***Histoire Naturelle***, Livre VI, 32, 6.

18 - STRABON, ***Géographie***, XVI : L'Arabie, IV, 2.

19 - STRABON, ***Géographie***, XVI : L'Arabie, IV, 3.

20 - STRABON, ***Géographie***, XVI : L'Arabie, IV, 19.

21 - PLINE, ***Histoire Naturelle***, Livre V, 12, 1.

باستثناء المناطق المجاورة لسوريا، وجبل كاسيوس (Casius) [بالقرب من أنطاكية بسوريا] الذي يحظى في هذه الفلاة ببعض الشهرة. وتحد هذه الجهة شرقا بالعرب الكانكليين (Canchléens)، وجنوبا بالعرب السدريين (Cédréens)، والكل يحد بالأنباط[٢٤] (Nabatéens).

ومن بين الشعوب الأخرى التي ذكرها ابلينيوس[٢٥]، شعب الماكيين العربي (*gentem Arabiae Macas*) الذي كانت تفصله مسافة ٥٠,٠٠٠ خطوة عن رأس كرمانيا (la Carmanie) [إقليم أسيوي شاسع كانت تحد به فارس في الشمال الشرقي وجيدروسيا (la Gédrosie) في الجنوب الشرقي]، وكان هذا الإقليم يقع فيما وراء النهر المسمى الهيتانيس (l'Hytanis) الذي اشتمل على مرفأ.

والغريب ما في أمر شعوب الجزيرة العربية التي لا تحصى، حسب ابلينيوس، هو أن نصفها يعيش من التجارة، والنصف الآخر من اللصوصية[٢٦]. وجملة القول فإن هذه الشعوب هي أغنى شعوب العالم، لأن ثروات الرومان والفارثيين (Parthes) تتدفق عليهم. ويبيع العرب منتجات بحارهم أو غاباتهم، ولا يشترون شيئا[٢٧].

والعرب يعتمرون بالبراطل أو يسدلون شعورهم، ويحلقون أذقانهم، باستثناء الشفة العليا، ومنهم من يعفي لحيته. ولا يصف ابلينيوس لباسهم، واكتفى فقط بالإشارة إليه عند حديثه عن ملك طابروبان (Taprobane) [سريلانكا] وشعبه قائلا : «يرتدي [هذا الملك] زيَّ باخوس (Bacchus)، ويلبس الشعب [شعبه] لباس العرب»[٢٨].

٢٢- السينيطيون، ويسمون باللاتينية (*Scaenitae*)، وأصلها إغريقي (*skênê*) (خيمة)، هم بدو رُحّل كانوا يعيشون في العصر القديم على حدود سوريا، فيما وراء الفرات.

[23] - PLINE, ***Histoire Naturelle***, Livre V, 12, 1 ; VI, 30, 8.

[24] - PLINE, ***Histoire Naturelle***, Livre V, 12, 1-2.

وعن بلاد النبط وغناها، وتعاطي أهلها للقرصنة باعتراضهم للسفن القادمة من مصر، وتخريب الأسطول الروماني لمراسيهم خلال عمليته التأديبية... ، راجع :

STRABON, ***Géographie***, XVI : L'Arabie, IV, ١٨.

[25] - PLINE, ***Histoire Naturelle***, Livre V, 26, 3-4.

٢٦- تصف النصوص العبرية عرب شمال الجزيرة بمربي قطعان المواشي، وبائعي الخراف والكباش والتيوس الذين يعيشون من النهب... انظر : "الجزيرة العربية قبل الإسلام"، موسوعة أونيفيرساليس (***Encyclopédie Universalis***)، على الرابط :

Robert MANTRAN, Maxime RODINSON, Universalis, « **ARABIE** », *Encyclopædia Universalis* [en ligne], consulté le 21 septembre 2015. URL : http://www.universalis.fr/encyclopedie/arabie/

[27] - PLINE, ***Histoire Naturelle***, Livre VI, 32, 19.

[28] - PLINE, ***Histoire Naturelle***, Livre VI, 24, 10.

٣- البحر الأحمر وخليجاه :

يشكل البحر الأحمر من جهة مصر خليجين يسمى أحدهما الهيروبوليتي (Héroopolite) [خليج العقبة]، والآخر الأيلانتيكي (Aelanitique) [خليج السويس]. وتفصل (Aelana)، الواقعة على البحر الأحمر، عن غزة (Gaza) الواقعة على البحر المتوسطي، مسافة ١٥٠,٠٠٠ خطوة[٢٩].

وإذا صدقنا ما قاله هيرودوت، كان البحر قديما يغمر مصر فيما وراء ممفيس (Memphis)، حتى جبال إثيوبيا ؛ كما كان يغمر أيضا المواضع المستوية من الجزيرة العربية[٣٠].

ويطلق اللاتينيون اسم البحر الأحمر على ما سماه الإغريق قبلهم بالبحر الإريتيري (*mer Érythrée*)، نسبة للملك إريتراس (*Érythras*)، أو حسب الآخرين نسبة إلى لونه الأحمر... وينقسم هذا البحر إلى خليجين، يسمى ذاك الذي يوجد في الشرق بالخليج الفارسي الذي تمتد الجزيرة العربية غربه، ويسمى الثاني الذي يمتد غرب الجزيرة بالخليج العربي. ويبلغ طول الجزيرة ١,٢٠٠,٠٠٠ خطوة. ويسمى البحر الذي تدخل مياهه في الخليجين المذكورين بالبحر الأزاني[٣١] (*mare Azanium*).

ويدخل المحيط [الهندي] نفسه في عدد كبير من الخلجان، مقتربا كثيرا من البحار الداخلية، إلى درجة أن الخليج العربي لا يبعد عن بحر مصر إلا بمائة وخمس عشرة ألف خطوة[٣٢].

*** الخليج العربي (البحر الأحمر) :**

انطلاقا من قادس في اتجاه المغرب، يتم الإبحار اليوم، حسب ابلينيوس، على طول سواحل موريطانيا في جزء كبير من بحر الجنوب [المحيط الأطلنطي]. والجزء الأكبر من هذا البحر ومن المشرق تم اجتيابه، بفضل انتصارات الإسكندر، حتى خليج الجزيرة العربية.

وخلال الحملة التي قام بها كايوس قيصر (Caïus César) ابن أغسطس[٣٣] في هذا الخليج، عُثر على حطام سفن، تم التأكد من أنه حطام سفن إسبانية.

---

[29] - PLINE, ***Histoire Naturelle***, Livre V, 12, 2.

[30] -PLINE, ***Histoire Naturelle***, Livre II, 87, 2. Texte établi, traduit et commenté par J. Beaujeu, 2e tirage, Paris, Les Belles Lettres, (1951), 2003.

وقول ابلينيوس هذا غير صحيح، فهيرودوت، (الاستقصا، II ، ١٠)، لم يذكر الجزيرة العربية من بين البلاد التي كانت مغمورة قديما بالبحر.

[31]- PLINE, ***Histoire Naturelle***, Livre VI, ٢٨, ١; VI, 34,4.

البحر الأزاني أو بحر أزانياس (Azanias)، جزء من البحر الأحمر أطلق عليه هذا الاسم نسبة لأزانيا (l'Azanie)، وهي صقع من أصقاع الحبشة. ويذكرنا هذا الاسم أيضا بأزاناس (Azanas)، الملك الذي حكم الحبشة حوالي ٣٩ ق. م. انظر :

SOLIN (C. J.), ***Polyhistor***, Chapitres : 55 ; 57.

[32] - PLINE, ***Histoire Naturelle***, Livre II, 68, 3 ; V, 12, 2.

وقبل ذلك، أبحر حنون، لما كانت حضارة قرطاج في أوجها، من قادس إلى حدود الجزيرة العربية، ثم دوّن تاريخ رحلته البحرية. ويروي كورنيليوس نيبوس (Cornélius Népos) أن شخصا في عصره يدعى أودوكس (Eudoxe)، هرب من الملك بطليموس لاتير (Ptolémée Lathyre) (١١٧-٨١ ق. م.)، فخرج من الخليج العربي ثم وصل إلى قادس[٣٤].

بعد ذلك، ساد الاعتقاد أنه بالإمكان الوصول بكل تأكيد إلى باطالي (Patalé) [جُزيرة واقعة عند مصب نهر السند (l'Indus)] بحرا انطلاقا من شناخ سياغروس (Syagrus) في أقصى شرق الجزيرة العربية، رأس الحدّ الحالي، شمال شرق سلطنة عمان، اعتمادا على الريح الشرقية التي تهب خلال الصيف، والتي تسمى هناك هيبالوس (Hippalus) ؛ وكانت المسافة الفاصلة بين الموضعين تقدر بـ 1.332.000 خطوة[٣٥].

ويتم الإبحار من برنيس (Bérénice[٣٦]) [في مصر]، التي لها ميناء على البحر الأحمر، في منتصف الصيف، قبل اشتداد القيظ أو بعده بقليل. وبعد حوالي ثلاثين يوما، يتم الوصول إلى أوكيليس (Ocelis) [المطلة على مضيق باب المندب، بالقرب من شيخ سعيد، على الأرجح[٣٧]] في البلاد العربية السعيدة، أو إلى قانئ (Cane[٣٨]) [موضع بئر علي الحالي]، في منطقة البخور [حضرموت]. وهناك ميناء ثالث يسمى موزه (Muza[٣٩]) (المخا الحالية) الذي لا يحط به الملاحون الذين يتوجهون إلى الهند ؛ ولا يرتاده إلا تجار البخور والطيب العربيين. وفي داخل البلاد توجد مدينة تسمى صَفار (Saphar)، وهي عاصمة البلد، وكذا مدينة أخرى تسمى سافي (Save) [السّوا]. وبالنسبة للمتوجهين إلى الهند، فإن أحسن ميناء للإبحار نحوها هو أوكيليس (Ocelis) الذي يتم الانطلاق منه مع هبوب ريح هيبالوس

٣٣- كايوس يوليوس قيصر فيبسانيانوس (Caius Julius Caesar Vipsanianus)، ولد عام ٢٠ ق. م. وتوفي عام ٤ م. وهو ابن يوليا (Julia) وماركوس فيبسانيوس أغريبا (Marcus Vipsanius Agrippa). توفي أبوه سنة ١٢ ق. م. ولكن جده من جهة أمه الإمبراطور أغسطس (Auguste) كان قد تبناه وأخاه لوكيوس (Lucius) منذ ولادتهما، ليكونا وارثين للملك.

34 - PLINE, ***Histoire Naturelle***, Livre II, 67, 2.

35 - PLINE, ***Histoire Naturelle***, Livre VI, 26, 5.

36- SCHIETTECATTE (J.), «L'Arabie du Sud et la mer du III è siècle av. au VI è siècle apr. J. C.», Autour du Périple de la mer Erythrée, Société des Amis de la Bibliothèque Salomon-Reinach, ***Topoi***, Suppl. 11, 2012, p. 242.

37 - *Idem*, pp. 245-246.

38 - ***Périple de la mer Erythrée,*** 27, in :
http://remacle.org/bloodwolf/erudits/anonyme/periple2.htm

39- SCHIETTECATTE (J.), «Ports et commerce maritime dans l'Arabie du Sud préislamique», ***Chroniques yéménites*** [En ligne], 15 | 2008, mis en ligne le 12 avril 2010, consulté le 14 avril 2015. URL : http://cy.revues.org/1671 ; par. 7-17 ; ***Périple de la mer Erythrée,*** 21 ; 24.

(Hippalus) ؛ وبعد سفر يدوم أربعين يوما تحط السفن في موزيريس (Muziris)، أول أسواق الهند[٤٠]...

ومن أشهر المدن المصرية التي كانت لها علاقات تجارية مع الجزيرة، ذكر ابلينيوس قفط (Coptos)، التي كانت السوق الأقرب للنيل بالنسبة لسلع الهند والجزيرة العربية[٤١].

٤- المعلومات التي جمعها أيليوس غالوس(Aelius Gallus)عن الجزيرة:

أنا لا أجهل ولم أنس، على حد تعبير ابلينيوس، ما ذكرته في بداية هذا المؤلَّف (**التاريخ الطبيعي**) لما قلت أن المؤلِّف الجدير بالثقة هو ذاك الذي يكتب عن بلده، إلا أنه بالنسبة لهذا القسم من الكتاب، أفضل الاعتماد على الغزوات الرومانية، وعلى الملك يوبا الذي بعث إلى ابن أغسطس كايوس قيصر (Caïus César) كتابا بخصوص هذه الحملة العسكرية على الجزيرة العربية[٤٢].

وإلى غاية اليوم، لم تحارب في الجزيرة العربية إلا قوات أيليوس غالوس[٤٣] (Aelius Gallus) الذي كان ينتمي إلى طبقة الفرسان ؛ لأن كايوس قيصر (Caïus César) ابن أغسطس لم ير هذا البلد إلا من بعيد. وكان هذا القائد الروماني قد دمر مدنا لم يذكرها المؤلفون السابقون، وهي : نيغرا (Négra)، وأمنيستروم (Amnestrum)، ونشق (Nesca)، وماغوسا (Magusa)، وتمّاكوم (Tammacum)، ولابيكيا (Labécia)، ومأرب (Mariaba)، كما هدم كاريبيطا (Caripéta)، وكان موضعها أقصى حد بلغته حملة غالوس (Gallus)[٤٤].

ولقد روى هذا الأخير بعد حملته المعلومات التالية : يتغذى الرّحل[٤٥] باللبن وبلحوم الحيوانات الضارية، وأن السكان الآخرين يستخرجون خمرا من النّخل وزيتا من السّمسم، شأنهم في ذلك شأن الهنود. والحميريون هم الأكثر عددا، وللمعينيين حقول نخل وبجلات خصبة، وعماد ثروتهم قطعان الماشية. والسيربانيون

---

40 - PLINE, ***Histoire Naturelle***, Livre VI, 26, 9.

41 - PLINE, ***Histoire Naturelle***, Livre V, 11.

42 - PLINE, ***Histoire Naturelle***, Livre VI, 31, 14.

٤٣- يتعلق الأمر بالحملة التي شُنت على الجزيرة في سنة ٢٥ ق. م.، والتي أمر بها الإمبراطور أغسطس لمّا سمع بثروات أهلها الذين كانوا يقايضون العطور والأحجار الكريمة بالذهب والفضة التي كدسوها في بلدهم تكديسا... وكان هذا الإمبراطور (حسب سطرابون) يسعى إلى أن يجعل من العرب إما حلفاء أغنياء قادرين على دعمه بكنوزهم، أو أعداء أثرياء لا صعوبة في هزمهم والظفر بأموالهم. وعن تفاصيل هذه الحملة التي استغرقت ستة أشهر، وعبأت حوالي عشرة آلاف مقاتل من المشاة، وكانت تهدف إلى احتلال بلد البخور ووضع حد لنشاط قوافل الوسطاء الذين كانوا يساهمون في ارتفاع أسعار البخور، راجع :

STRABON, *Géographie*, XVI : L'Arabie, IV, 22 - 24.

44 - PLINE, ***Histoire Naturelle***, Livre VI, 32, 17.

٤٥- أشار ابلينيوس إشارة واحدة إلى العرب الرحل في الكتاب الخامس قائلا :« يحد (البحيرة الزفتية) (Le lac Asphaltite) [البحر الأحمر] شرقا رُحَّل الجزيرة العربية.» ؛ انظر :

PLINE, ***Histoire Naturelle***, V, ١٥, 3.

(Cerbanes) والأغريون (Agréens)، وخاصة الحترموتيون (Chatramotites) هم الأشد قتالا والمستظهرون على أعدائهم. وللكاريين (Carréens) أوسع الحقول وأخصبها ؛ وأراضي السبئيين (Sabéens) هي الأغنى من حيث الغابات المليئة بالأشجار الذكية الرائحة، وهي الرائحة العطرة التي قال هيرودوت أنها تنبعث من سائر الجزيرة العربية[٤٦] ؛ وهي الأغنى أيضا من حيث مناجم الذهب، والمجاري المائية لسقي الحقول، والعسل والشمع[٤٧].

٥- ثروات الجزيرة العربية والأسباب التي جعلتها تسمى بالخصبة والسعيدة:

أهم منتجات هذا البلد، في **التاريخ الطبيعي**[٤٨]، هي البخور والمُرّ[٤٩]. وإذا كانت الجزيرة العربية تشترك في إنتاج المر مع بلاد سكان الكهوف (Troglodytes)، فإنها تنفرد بالبخور الذي لا يوجد إلا في بعض جهاتها. ففي وسط هذا البلد تقريبا يوجد الحضرموتيون الذين يسكنون منطقة من مناطق السبئيين والتي عاصمتها شبوة (Sabota)، وهي تنتصب فوق جبل مرتفع، على بعد ثماني مراحل من الجهة التي تنتج البخور، والمسماة سبأ (Saba)، وهي الكلمة التي يقول الإغريق أنها تعني سِرّ. وهذا الموضع حريز لأنه محاط بالصخر، وعلى يمينه يوجد شاطئ ممتنع نظرا للبحر ذي الرصيف الصخري. ويقال أن لون الأرض أمغر. وتمتد الغابات التي تنتج البخور على مسافة طولها ٢٠ شينات (schènes)، وعرضها ١٠. وتغطي هذه المنطقة تلال مرتفعة، والأشجار التي تنبت فيها بشكل طبيعي، تمتد إلى السهول. وهناك اتفاق على أن تربتها صلصالية، وعيونها نادرة ونترونية (متشبعة بملح البارود). ويحد هذا البلد ببلد المعينيين (*Minaei*)، وهو منطقة أخرى ينقل البخور فيها عبر مسلك واحد ضيق. وهذا الشعب كان أول من اتجر بالبخور، وما زال يشتغل الآن بهذه التجارة بشكل أساسي، وهذا ما يفسر تسمية البخور بالمعيني. ولا يسمح للعرب الآخرين برؤية شجرة البخور، بل حتى السبئيون أنفسهم لا يتمتعون كلهم بهذا الامتياز. ويُزعم أنه ليس هناك إلا ثلاثة آلاف عائلة تستأثر بالامتياز المذكور، وذلك بمقتضى حق الإرث ؛ ولذلك فإنهم مقدَّسون. ولما يكونون على وشك أن يشذبوا أشجارهم أو يجنوا ثمارها، فإنهم يحرصون كل الحرص على أن يظلوا طهارى، فلا يطؤون نساءهم، ولا يحضرون المآتم. وهم يتمسكون بهذه القواعد الدينية على أمل أن تنمو كميات بضائعهم[٥٠].

---

46 - HERODOTE, ***L'Enquête***, III, 97.

47 - PLINE, ***Histoire Naturelle***, Livre VI, 32, 18.

48 - PLINE, ***Histoire Naturelle***, Livre XII, 30. Texte établi, traduit et commenté par A. Ernout. 2e tirage, Paris, Les Belles Lettres, (1949), 2003.

٤٩- راجع أيضا وصف سطرابون لبلد الطيب ؛ وهيرودوت للجزيرة العربية :
STRABON, ***Géographie***, XVI : L'Arabie, IV, 25 ; HERODOTE, ***L'Enquête***, III, 107-113.

50 - PLINE, ***Histoire Naturelle***, Livre XII, 30.

أ- شجرة البخور :

ليس هناك إجماع بخصوص شكل شجرة البخور. فلقد حارب الرومان في الجزيرة، وتوغلت جيوشهم في معظم أرجائها، ومع ذلك، فليس هناك، على الأقل حسب علم ابلينيوس[٥١]، أي كاتب لاتيني قد وصف مظهر هذه الشجرة. أما فيما يخص الإغريق، فإن رواياتهم تختلف : فبعضهم قال إن ورقها يشبه ورق الإجاص، ولكنه أصغر حجما منه، وهو أخضر اللون ؛ ويقول البعض الآخر أنها تشبه المصطكاء الصهباء الأوراق بعض الشيء. ويقول فريق ثالث أنها نوع من البطم، وأن الملك أنتيغون[٥٢] (Antigone) الذي جُلبت له جنبة من هذه الفصيلة، كان مع هذا الرأي.

ويروي الملك يوبا في الكتاب الذي ألفه لابن أغسطس (Caïus César)، أن جذع شجرة البخور مفتول، وأن أغصانها تشبه أغصان قيقب البنتس (Pont)، وأنها تفرز عصارة تشبه عصارة شجر اللوز... ومن المؤكد أنها تشبه الغار فيما يخص قشرتها، والبعض قال أن هذا الشبه يشمل ورقتها أيضا... ولقد أدى قدوم السفراء من الجزيرة العربية في عهدِي (القرن I م) إلى زيادة غموض معلوماتنا بخصوص هذا الموضوع. وارتيابنا في الأمر، حسب ابلينيوس، يثير الاستغراب، لأنهم يجلبون لنا أغصان شجر البخور التي نرى من خلالها أن الساق التي تفرعت منه سوية وخالية من العُجر[٥٣].

وبما أن مبيعات البخور في الماضي لم تكن متواصلة، فإنه كان يُقتصر على غلة وحيدة في السنة. واليوم، فإن إغراء الربح جعل الغلة غلتين في العام الواحد. الأولى، وهي التي تتم بشكل طبيعي عندما يطلع نجم الشعرى اليمانية، ويشتد القيظ، عن طريق حزّ لحاء الشجرة في الموضع الأرقّ والأكثر امتلاء بالزبد. ثم يتم تمديد الحزة دون إزالة ما يتدفق منها من زبد دهني يتعقد ويتجمد فوق حصائر من سعف النخل، يقع عليها كلما سمحت طبيعة الأرض بذلك، أو فوق بيدر معبد يحيط بالشجرة. والبخور الذي يقع على الحصائر أخلص وأصفى، والآخر أثقل وزنا ؛ وما ظل ملتصقا بالشجرة يسحج بآلة حديدية، وبالتالي فهذا البخور يكون ممزوجا بكُسار القشرة. والغابة المقسمة إلى أجزاء محددة، يأمن أصحابها بعضهم بعضا، فلا أحد يستأثر بالشجر المحزوز، ولا أحد يسرق جاره.

وتُجنى غلة الصيف في الخريف، ويكون هذا البخور غاية في الصفاء، وهو أبيض اللون. والغلة الثانية فهي غلة الربيع، نتيجة لعملية حز اللحاء التي سبق وأن تمت في الشتاء ؛ وبخورها أصهب اللون، ويسمى داتيات (dathiate)، وهو لا يقارن

---

[51] - PLINE, ***Histoire Naturelle***, Livre XII, 31.

٥٢- من خلفاء الاسكندر، حكم في شرق تركيا وشمال سوريا زمن سلوقس (سوريا)، وبطليموس (مصر).

[53] - PLINE, ***Histoire Naturelle***, Livre XII, 31.

بالأول الذي يسمى كارفيوط (carphéote). ويُعتقد أن بخور شجرة حديثة السن يكون أنصع بياضا، وبخور الشجرة القديمة يكون أذكى ريحا...

وتحمل غلة البخور إلى شبوة (Sabota) على الإبل. ولا يفتح من أبواب المدينة لاستقبال هذه القافلة إلا باب واحد. وهناك يقوم الكهنة باقتطاع العشر، بالمكيال وليس بالوزن، لربٍّ يسمونه سابيس (Sabis)، ولا يمكن لعملية البيع أن تتم قبل هذا الاجراء. وبهذا العشر يتم تسديد النفقات العمومية، لأن الرب يُعوض بسخاء مصاريف القافلة خلال السفر، وذلك طوال عدد معين من الأيام. ولا يمكن للبخور أن يصدر إلا عن طريق بلد القطبانيين (Gébanites)، لذلك تُؤدى لملكهم إتاوة... وحيثما تم المرور وجب الأداء، تارة مقابل الماء، وتارة أخرى مقابل العلف، أو المأوى، أو المكوس المختلفة، بحيث تبلغ المصاريف بالنسبة للبعير الواحد الذي يبلغ إلى شاطئ بحرنا : ٦٨٨ دينارا، وهناك، ينبغي أداء جُباة الإمبراطورية أيضا. وهكذا فالبخور الممتاز يباع بستة دنانير للرطل، وبخور الدرجة الثانية بخمسة دنانير للرطل، والأقل جودة بثلاثة دنانير[٥٤].

ويروي هيرودوت[٥٥] أن العرب كانت تؤدي لملك الفرس، داريوس، إتاوة سنوية ضربت عليهم قدرها ألف تالان من البخور (٢٥,٩٢٠ كيلوغرام).

ب- شجرة المُر :

تنمو الشجرة التي تنتج المر، حسب البعض، في نفس الغابة التي ينمو فيها شجر البخور، ولكن حسب أكثر الناس، فإن الشجرتين لا تجتمعان في الغابة نفسها إلا نادرا. فشجر المر ينمو بالفعل في عدة أصقاع أخرى من الجزيرة، كما سنرى ذلك عندما سنصف أنواعها المختلفة. ويُستورد من الجزر صنف جيد من المر، ويعبر السبئيون البحر لجلبه من بلاد سكان الكهوف (Troglodytie). والسبئيون هم أشهر العرب بسبب البخور، وقبائلهم تمتد على الشواطئ المطلة على البحرين[٥٦] [الخليج العربي والبحر الأزاني أو الإيريتري]. وشجر المر يُغرس أيضا، والمغروس يُفضّل على النوع الآخر[٥٧].

*** وصف مفصل لشجرة المُرّ، حسب ابلينيوس[٥٨] :**

يُحزّ شجر المر هو الآخر خلال فترتين معلومتين من السنة. وأنواعه عدة : أجود المرّ البري هو مرّ بلاد سكان الكهوف (Troglodytie). يأتي بعده من حيث الجودة المرّ المعيني الذي يشمل نوعين، الأترامتيكي (l'Atramitique)، والأوزاريتي (l'Ausarite). وثالثها هو المرّ الديانيتي (Dianite)، ورابعها المرّ الممزوج،

54 - PLINE, ***Histoire Naturelle***, Livre XII, 32.
55 - HERODOTE, ***L'Enquête***, III, 97.
56 - PLINE, ***Histoire Naturelle***, Livre VI, 32, 11.
57 - PLINE, ***Histoire Naturelle***, Livre XII, 33.
58 - PLINE, ***Histoire Naturelle***, Livre XII, 34-35.

وخامسها المر السمبراسيني (Sembracène)، نسبة للمدينة الساحلية الواقعة في مملكة السبئيين، وسادسها المر الدوساريتي (Dusarite).

وكان سطرابون[٥٩] قد ذكر أن السبئيين يشتغلون بالزراعة والتجارة، وأن تجارتهم لا تقتصر على تصريف الطيب الذي ينتجه البلد فحسب، بل إنهم يستوردون أيضا كميات كبيرة من الطيب من إثيوبيا. ولهذه الغاية، نراهم على متن قواربهم المصنوعة من الأهب، يعبرون المضيق جيئة وذهابا. وذكر ابلينيوس ولوع العرب الشديد بالطيب الأجنبي، وسفرهم لجلبه من البلاد القاصية[٦٠]. وعلق على ذلك قائلا : «إلى هذا الحد يمل الانسان ما هو بلدي، ويشتهي ما هو في غير متناوله»[٦١].

وكان الطيب ينتج في مملكة سبأ، حسب سطرابون، بكميات وافرة إلى درجة أن الكافور والسنا وأنواع الطيب الأخرى كانت تُحرق كما تحرق الأحراش والخشب قصد التدفئة. وخلال حديثه عن السبئيين الذين اعتبرهم سطرابون أقوى شعوب شبه الجزيرة، وبلادهم أخصب أراضيها وأسعدها، ذكر صاحب **الجغرافية** إنتاجهم للمرّ، والبخور، والكافور (cinnamome)، علاوة على البلسان (balsamier) الذي يكون نموه أحسن في الساحل، وكذا عشب يعبق منه الأريج، والذي يتبخر شذاه مع الأسف بسرعة. كما يوجد في هذه البلاد النخل الذكي الرائحة، والقصب العطري (*calamus*). وينمو شجر الألوّة[٦٢] (*larimnum*) أيضا في مملكة سبأ، ويعتبر سطرابون عوده الذي يُتبخر به، أذكى الطيب رائحة[٦٣].

ج- أشجار وجنبات الجزيرة العربية الأخرى :

* جنبة **الهال** (*amomum cardamomum*)، حبتها مستطيلة، تجنى بنفس الطريقة في الجزيرة العربية كما في الهند. وهي أربعة أنواع : الشديدة الخضرة والدُهنية والحادة الزوايا والصعبة الكسر، وهي الأجود. تليها تلك التي لونها أبيض ضارب إلى الأصهب، ثم نجد في المرتبة الثالثة جنبة أقصر وأشد سوادا. وأردء هذه الأصناف تلك التي تختلف ألوانها وهي قابلة للتفتت ورائحتها تكاد لا تدرك. والهال غير المغشوش ينبغي أن يشبه الكوستوس (*costus*)[٦٤].

وينبت في باختاريا (Bactriane) **الكُندر** (*bdellium*) الشهير. وهو شجرة سوداء يبلغ طولها طول الزيتونة، ويشبه شكل أوراقها أوراق السنديان، أما ثمرها

---

59 - STRABON, ***Géographie***, XVI : L'Arabie, IV, 19.

٦٠- توجد في "كتاب فخر السودان على البيضان" للجاحظ إشارة إلى هذا الطيب الإفريقي الأصل، انظر : رسائل الجاحظ، ج ١، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون، القاهرة، ١٩٦٤، ص. ٢٠٢: «قالوا: وثلاثة أشياء جاءتكم من قبلنا. منها الغالية، وهي أطيب الطِّيب وأفخره وأكرمه.»

61 - PLINE, ***Histoire Naturelle***, Livre XII, 38.

٦٢- الأَلُوَّةُ : هو الألنجوج ، شجر من الفصيلة المازريونية، وفُصَيِّلة الألنجوجية ، له عود راتنجي، إذا أحرق سطعت له رائحة جميلة، وكثيراً ما يخلِطون عودَ هذا النبات بعود نباتٍ آخرَ من الفصيلة القرنية ، ويُسمَّى أيضاً العودَ الهنديَّ أو النَّدَّ.

63 - STRABON, ***Géographie***, XVI : L'Arabie, IV, 19.

64 - PLINE, ***Histoire Naturelle***, Livre XII, 29.

وشكلها فيشبهان ثمر وشكل التين البري. ويسمى الصمغ الذي تنتجه بروشون (brochon) حسب البعض، ومالاشا (malacha) أومالدوكون (maldocon) حسب البعض الآخر. ولما يكون الصمغ أسود اللون ويُدوّر على شكل كتل، فإنه يسمى هادروبولون (hadrobolon). وينبغي أن يكون الصمغ شفافا، لونه لون الشمع، ذكي الريح، دهني عندما يُفرك، مرّ مذاقه ولكن دون حموضة ؛ ويرش بالخمر خلال الذبائح فيصير بذلك أذكى رائحة. وينبت هذا الشجر في الجزيرة العربية والهند وميديا وبابل.

وينبت **الزنجبيل** في الجزيرة العربية وبلاد سكان الكهوف (Troglodytie)، وذلك في الحقول المزروعة. وهو نبات عشبي صغير أبيض[٦٥].

ويروي يوبا أن شجر الجزيرة العربية الذي تصنع منه الأنسجة يسمى **السين** (cynes)، وله ورق يشبه سعف النخل...

وفي جزيرتي تيلوس (Tylos) [البحرين] ينبت شجر آخر يشبه زهره البنفسج الأبيض (*matthiola incana*)، لكنه أكبر منه بأربع مرات، ولا رائحة له، وهذا شيء نادر في هذه الأصقاع[٦٦].

ولقد وصف ابلينيوس **النخلة** بأجزائها المختلفة بما فيها نواة الثمرة، وصفا دقيقا ؛ وتحدث عن تلقيح النخيل[٦٧]، وكذا عن أنواعه، وعن الثمر[٦٨]. كما وصف شجر **القطلب** (*unedo*) وزهره وثماره واسميه بالإغريقية، وما رواه يوبا بخصوص طول هذه الشجرة في الجزيرة العربية الذي يبلغ خمسين ذراعا[٦٩]. وأورد ما رواه المؤلفون بخصوص **الخبّاز** الذي يتشجّر في الجزيرة العربية (*arborea Lavatera*) بعد سبعة أشهر، وأنه يُستعمل كعصا دون إدخال أي تغيير عليه[٧٠]. ويضيف ابلينيوس : ويقال أن حجم **الخُرف** (*nasturtium*)في الجزيرة العربية كبير جدا[٧١].

وتنتج الجزيرة العربية السكر، غير أن سكر الهند أكثر رواجا[٧٢]. وأولئك الذين يشيدون بالخيار البري، حسب ابلينيوس، يقولون أن أحسنه هو خيار الجزيرة

---

65 - PLINE, ***Histoire Naturelle***, Livre XII, 14, 28.
66 - PLINE, ***Histoire Naturelle***, Livre XII, 22.
67 - PLINE, ***Histoire Naturelle***, Livre XIII, 7. Texte établi, traduit et commenté par A. Ernout. 2e tirage, Paris, Les Belles Lettres, (1956), 2003.
68 - PLINE, ***Histoire Naturelle***, Livre XIII, 9.
69 - PLINE, ***Histoire Naturelle***, Livre XV, 28. Édité et traduit par Jacques André, Paris, Les Belles Lettres, (1960) 2002.
70 - PLINE, ***Histoire Naturelle***, Livre XIX, 22. Édité et traduit par Jacques André, Paris, Les Belles Lettres, (1964) 2002.
71 - PLINE, ***Histoire Naturelle***, Livre XIX, 44.
72 - PLINE, ***Histoire Naturelle***, Livre XII, 17.

العربية، ثم خيار أركاديا (Arcadie) بعده[٧٣]. أما جنبة الكَبر (*cappari*) في الجزيرة العربية، فهي تلحق الأذى بصحة آكلها[٧٤].

وخلال حديثه عن الساحل الغربي للجزيرة، ذكر سطرابون خليجا تحيط به جبال، دون أن يسميه، توجد جنوبه ثلاث جزر غير آهلة بالسكان، تغطيها أشجار زيتون تختلف كل الاختلاف عن "أشجارنا"، وهي صنف خاص بهذا البلد، يُعتقد أن لنُسغها مزايا طبية[٧٥].

د- الذهب والأحجار الكريمة :

بخصوص الذهب، كان سطرابون[٧٦] قد ذكر في وصفه لجنوب الجزيرة واديا، دون أن يسميه، يدحرج شذرات الذهب، مبديا تأسفه على عدم معرفة الأهالي طريقة استغلال المعدن النفيس. كما تحدث في الفقرة نفسها عن مناجم الذهب التي لا يوجد الذهب فيها على شكل شذرات، بل على شكل تبر، تبلغ التبرة على الأقل حجم نواة، أو حجم جوزة على الأكثر؛ ولكن حجمها عادة يشبه حجم ثمرة زعرور، وتستخلص الشوائب من هذا التبر بسهولة. ويقوم الأهالي بثقب هذه التبرات ونظمها بالتعاقب مع حجارة صغيرة وشفافة في أسلاك أساور وعقود تضعها النسوة في معاصمهن وحول أعناقهن. ويبيع الأهالي ذهبهم للسكان المجاورين بثمن زهيد، ويؤدون ثلاثة أضعافه مقابل حصولهم على النحاس، وضِعفيْه مقابل الحديد، وعشرة أضعافه مقابل الفضة ؛ ويفسر ذلك قلة خبرتهم في ميدان التعدين، وكذا افتقار بلدهم الشديد إلى المعادن الأخرى التي يبادلونها بالذهب، والتي هي من ضروريات الحياة اليومية.

وتحدث ابلينيوس في الكتاب التاسع من **التاريخ الطبيعي** عن اللؤلؤ واصفا إياه بأجود الحلي ؛ وأحسنه ذلك الذي تنتجه شواطئ الجزيرة العربية المطلة على الخليج الفارسي. ثم تطرق إلى طريقة تكوينه، وعلاقة صفاء لونه بأشعة الشمس ولون السماء (تأثره بزرقتها أو تلبدها بالغيوم...)[٧٧].

وبحر الجزيرة العربية السعيدة، حسب ابلينيوس، أسعد منها، فمن أعماقه يأتينا اللؤلؤ. مائة مليون سسترسس (sesterces)، على أقل تقدير، تسلبها سنويا من إمبراطوريتنا الهند والصين (Sérique)، وشبه الجزيرة العربية هذه ؛ إلى هذا الحد يكلفنا الترف والنساء غاليا[٧٨].

وأورد في نفس الكتاب ما رواه الملك الموريطاني يوبا الذي قال أنه يوجد في شواطئ الجزيرة العربية نوع من المحار يشبه مشطا منقوشا ومكسوا بشوكٍ كشوكِ

[73]- PLINE, ***Histoire Naturelle***, Livre XX, 3. Édité et traduit par Jacques André, Paris, Les Belles Lettres, (1965) 2003.
[74] - PLINE, ***Histoire Naturelle***, Livre XIII, 44.
[75] - STRABON, ***Géographie***, XVI : L'Arabie, IV, 19.
[76] - STRABON, ***Géographie***, XVI : L'Arabie, IV, 18.
[77] - PLINE, ***Histoire Naturelle***, Livre IX, 54.
[78] - PLINE, ***Histoire Naturelle***, Livre XII, 41.

الأخينوس (قنفذ البحر)، وتشبه لؤلؤته التي يكسوها اللحم حبة برد. وهذا المحار لا تستورده روما[٧٩].

ثم تحدث ابلينيوس عن أغلى الأحجار الكريمة : ألماس، بأصنافه الستة، بما فيها ذلك الذي تنتجه الجزيرة والذي يشبه ألماس الهند، غير أنه أصغر منه حجما[٨٠]؛ والأوبال (عين الهر)[٨١] ، واليشب[٨٢] ، والجزْع[٨٣]، والزّبرجد[٨٤]...

٦- الطيور والحيوانات :

أ- الطيور :

تنتج الهند وإثيوبيا طيورا اختلفت ألوانها اختلافا يصعب وصفه. وأشهرها على الإطلاق يولد في الجزيرة العربية، وهو العنقاء الذي إن لم يكن وجوده عبارة عن أسطورة، فهو فريد في الدنيا بأسرها، ولم يُر إلا نادرا. ولقد كُرِّس هذا الطائر في الجزيرة للشمس[٨٥]...

كما يوجد في الجزيرة العربية طائر يسمى (*cinnamologos*)، وهو يصنع عشه من حطام العيدان الدقيقة المأخوذة من شجرة السينّام (cinname)، الذي تتفرد الجزيرة العربية به، حسب هيرودوت[٨٦]. ويقوم الأهالي بإسقاط هذا العش بأسهمهم المرصّصة قصد بيعه[٨٧] .

ب- الحيوانات الأخرى :

ولقد وصف ابلينيوس الجمل : سنامه، وأسنانه، واستعمالاته (للحمل وللحرب)، ومقارنته بالفرس، وتحمله للعطش، وعمره، وخصيه[٨٨]...

وذكر سطرابون[٨٩] أيضا الجمل، عند حديثه عن رُحَّل جنوب غرب الجزيرة الذين يعتمدون في عيشهم على جمالهم. فهم يستعملون البعير في الحرب، وللأسفار، وللوسق، ويشربون لبن النوق ويتغذون بلحوم الإبل. ويُطعم جنوب الجزيرة، حسب صاحب **الجغرافية**، عددا كبيرا من رؤوس الماشية التي لا نجد من بينها الخيل والبغال والخنازير ؛ كما لا يوجد فيها الدجاج والإوز من بين أنواع الطيور الداجنة

79 - PLINE, ***Histoire Naturelle***, Livre IX, 56. Texte établi, traduit et commenté par E. de Saint-Denis. 2e tirage, Paris, Les Belles Lettres, (1955), 2003.

80 - PLINE, ***Histoire Naturelle***, Livre XXXVII, 15. Édité et traduit par Eugène de Saint-Denis, Paris, Les Belles Lettres, (1972), 2003.

81 - PLINE, ***Histoire Naturelle***, Livre XXXVII, 22, 2.

82 - PLINE, ***Histoire Naturelle***, Livre XXXVII, 23, 2-3.

83 - PLINE, ***Histoire Naturelle***, Livre XXXVII, 24.

84 - PLINE, ***Histoire Naturelle***, Livre XXXVII, 32.

85 - HERODOTE, ***L'Enquête***, II, 73 ; PLINE, ***Histoire Naturelle***, Livre X, 2.

86 - HERODOTE, ***L'Enquête***, III, 107.

87 - PLINE, ***Histoire Naturelle***, Livre X, 50. Texte établi, traduit et commenté par E. de Saint Denis. 2e tirage, Paris, Les Belles Lettres, (1961), 2003.

88 - PLINE, ***Histoire Naturelle***, Livre VIII, 26. Texte établi, traduit et commenté par A. Ernout. 2e tirage, Paris, Les Belles Lettres, (1952), 2003.

89 - STRABON, ***Géographie***, XVI : L'Arabie, IV, 18.

الكثيرة التي تعيش فيها أيضا[٩٠]. وكان سطرابون قد تحدث عن حيوانات شمال شبه الجزيرة، وذكر من بينها خاصة قطعان الفِراء، والجمال البرية، والأيايل، والظباء التي توجد فيها بأعداد كبيرة ؛ كما ذكر الأسود، والأنمر، والذئاب[٩١]. وفي وصفه لبلاد السبئيين، ذكر سطرابون حيّات صغيرة لونها أحمر ناضر تثب على خصر الراجل وتلدغه لدغة قاتلة[٩٢].

ويطلعنا ابلينيوس في الكتاب الثامن من تاريخه الطبيعي على أن لا وجود في الجزيرة العربية للرت والخنزير[٩٣]. أما عظايا الجزيرة العربية فيبلغ طولها ذراعا[٩٤]. وأحسن الأحرمة (جمع حِرام) التي تغطى بها النعاج هي تلك المصنوعة من أصواف الجزيرة العربية[٩٥].

٧- غريبة، حسب ابلينيوس :

أطول إنسان شوهد في عصرنا، خلال حكم الرب كلاوديوس(*Diuo Claudio*)، كان يسمى جبّاره (Gabbara)، استُقدم من الجزيرة العربية، ولقد بلغ طوله تسعة أقدام وتسع بوصات (2, 871 م)[٩٦].

---

90 - STRABON, ***Géographie***, XVI : L'Arabie, IV, 2.
91 - STRABON, ***Géographie***, XVI : L'Arabie, IV, 18.
92 - STRABON, ***Géographie***, XVI : L'Arabie, IV, 19.
93 - PLINE, ***Histoire Naturelle***, Livre VIII, 78.
94 - PLINE, ***Histoire Naturelle***, Livre VIII, 60.
95 - PLINE, ***Histoire Naturelle***, Livre VIII, ٧٢.
96 - PLINE, ***Histoire Naturelle***, Livre VII, 16. Texte établi, traduit et commenté par R. Schilling. Deuxième tirage revu et corrigé, Paris, Les Belles Lettres, 2003.

خاتمة :

رأينا أن المعلومات التي يشتمل عليها مُصنّفا **التاريخ الطبيعي** و**الجغرافية** بخصوص الجزيرة العربية غزيرة. ثم إنها على غزارتها تتسم عموما بالدقة، وهي أقرب نسبيا للواقع، بالمقارنة مع وصف هيرودوت للجزيرة في **استقصائه** الذي مزج بين التاريخ والأساطير. فلقد مكننا مصنّفا ابلينيوس وسطرابون من تكوين فكرة واضحة عن جغرافية الجزيرة العربية الطبيعية والبشرية، موقعها وحدودها، وسواحل بحرها وخليجاها، وتربتها، وعيونها، وشعوبها التي نعتها ابلينيوس بأغنى شعوب العالم، ومدنها التي كانت بعضها عواصم كمأرب، عاصمة السبئيين، الذين اعتبرهم سطرابون أقوى شعوب شبه الجزيرة، وبلادهم أخصب أراضيها وأسعدها... وأحصى هذان المصدران ثروات الجزيرة التي كان عمادها منتجات شجر المُرّ والبخور الذي لا يوجد إلا في بعض جهاتها، والذي كان المعينيون أول من اتجر به... كما وصفا أشجار وجنبات الجزيرة العربية الأخرى، وكذا طيورها وحيواناتها، وبعض معادنها النفيسة كالذهب، والأحجار الكريمة. ويبقى هذان المصدران، الإغريقي واللاتيني، أساسيان للتعرف على ماضي الجزيرة العربية وتاريخ شعوبها القديمة.

المصادر والمراجع :

- HERODOTE, ***L'Enquête***, Texte présenté, traduit et annoté par A. Barguet, Paris, Gallimard, 1964.
- Périple de la mer Erythrée, *in* :
http://remacle.org/bloodwolf/erudits/anonyme/periple2.htm
- PLINE, ***Histoire Naturelle***, Livre II. Texte établi, traduit et commenté par J. Beaujeu, 2e tirage, Paris, Les Belles Lettres, (1951), 2003.
- PLINE, ***Histoire Naturelle***, Livre V. Paris, Firmin-Didot et Cie, 1877.
- PLINE, ***Histoire Naturelle***, Livre VI. (2e partie : L'Asie centrale et orientale. L'Inde) ; Édité et traduit par Jacques André, Jean Filliozat, Paris, Les Belles Lettres, (1980) 2003.
- PLINE, ***Histoire Naturelle***, Livre VII. Texte établi, traduit et commenté par R. Schilling. Deuxième tirage revu et corrigé, Paris, Les Belles Lettres, 2003.
- PLINE, ***Histoire Naturelle***, Livre VIII. Texte établi, traduit et commenté par A. Ernout. 2e tirage, Paris, Les Belles Lettres, (1952), 2003.
- PLINE, ***Histoire Naturelle***, Livre IX. Texte établi, traduit et commenté par E. de Saint-Denis. 2e tirage, Paris, Les Belles Lettres, (1955), 2003.
- PLINE, ***Histoire Naturelle***, Livre X. Texte établi, traduit et commenté par E. de Saint Denis. 2e tirage, Paris, Les Belles Lettres, (1961), 2003.
- PLINE, ***Histoire Naturelle***, Livre XII. Texte établi, traduit et commenté par A. Ernout. 2e tirage, Paris, Les Belles Lettres, (1949), 2003.
- PLINE, ***Histoire Naturelle***, Livre XIII. Texte établi, traduit et commenté par A. Ernout. 2e tirage, Paris, Les Belles Lettres, (1956), 2003.
- PLINE, ***Histoire Naturelle***, Livre XV. Édité et traduit par Jacques André, Paris, Les Belles Lettres, (1960) 2002.
- PLINE, ***Histoire Naturelle***, Livre XIX. Édité et traduit par Jacques André, Paris, Les Belles Lettres, (1964) 2002.
- PLINE, ***Histoire Naturelle***, Livre XX. Édité et traduit par Jacques André, Paris, Les Belles Lettres, (1965) 2003.
- PLINE, ***Histoire Naturelle***, Livre XXXVII. Édité et traduit par Eugène de Saint-Denis, Paris, Les Belles Lettres, (1972), 2003.
- STRABON, ***Géographie*** de Strabon. T. III, Paris, Hachette, 1909.
- MANTRAN (R), RODINSON (M), Universalis, « **ARABIE** », *Encyclopædia Universalis* [en ligne], consulté le 21 septembre 2015. URL : http://www.universalis.fr/encyclopedie/arabie/
- SCHIETTECATTE (J.), «Ports et commerce maritime dans l'Arabie du Sud préislamique», ***Chroniques yéménites*** [En ligne], 15 | 2008, mis en ligne le 12 avril 2010, consulté le 14 avril 2015. URL : http://cy.revues.org/1671

- SCHIETTECATTE (J.), «L'Arabie du Sud et la mer du III è siècle av. au VI è siècle apr. J. C.», Autour du Périple de la mer Erythrée, Société des Amis de la Bibliothèque Salomon-Reinach, Topoi, Suppl. 11, 2012.
- VILLENEUVE (F.), PHILLIPS (C.) & FACEY (W.) : « Une inscription latine de l'archipel Farasân (sud de la mer Rouge) et son contexte archéologique et historique », ***Arabia***, 2, 2004, p. 143-192, et n. 66.

خريطة للجزيرة العربية حسب جغرافية بطليموس

المصدر :

SCHIETTECATTE (J.), « Ports et commerce maritime dans l'Arabie du Sud préislamique », *Chroniques yéménites* [En ligne], 15 | 2008, mis en ligne le 12 avril 2010, consulté le 14 avril 2015. URL : http://cy.revues.org/1671 ; par. 70, Figure 2.

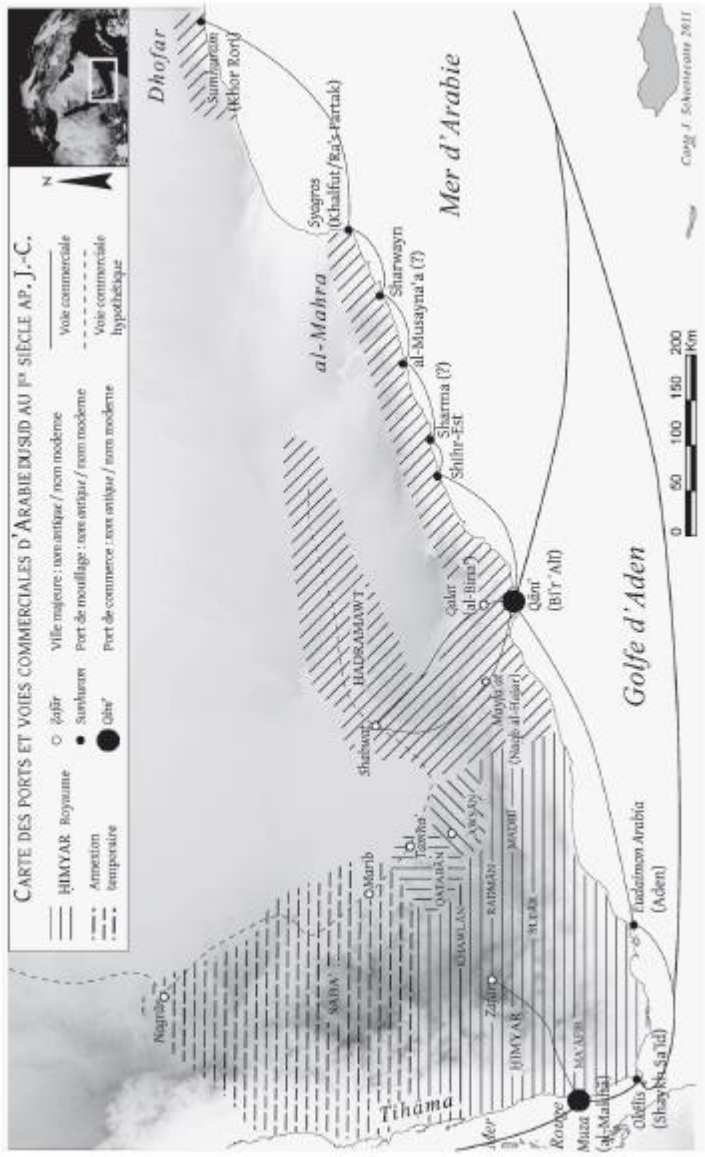

Fig. 2 – Carte des ports et voies commerciales d'Arabie du Sud au Ier siècle apr. J.-C.

خريطة الموانئ والطرق التجارية في جنوب الجزيرة العربية خلال القرن الأول للميلاد

المصدر :

SCHIETTECATTE (J.), «L'Arabie du Sud et la mer du III è siècle av. au VI è siècle apr. J. C.», Autour du Périple de la mer Erythrée, Société des Amis de la Bibliothèque Salomon-Reinach, *Topoi*, Suppl. 11, 2012, p. ٢٦٩.